محادثات فلسفيّة في آداب الحريّة

من خلفة المرحوم الاب انطون رباط اليسوعيّ

١ في تعريف الحريّة

١ ما الحرية وما ادراك ما الحريّة. درّة تُشغف بحبّها الافراد والشعوب. وصبت اليها من كل فجّ قوى العقول والقلوب. بل عروس قد اشرأبّت نحوها الاعناق ورنت اليها النواظر. وعلقت بحسن مسحتها وطف سجيتها ناثرة الانندة وناثرة الخواطر. فلا تكاد ترى جريدةً او مجلة او تقرأ كتاباً او تسمع خطاباً الّا وقد جعل المؤلف اسم الحريّة عنوانهُ وغايتهُ. وبثّ روحها والدفاع عن حقوقها بغيتهُ ومحجّتهُ. فاذا طالعت مقالات معاصرينا ممن ادّعوا العلم — ومن لم يدّعِ العلم — سمعتهم ينادون على الملإ ببوق الحرية وكثيرون منهم ينكرون وجود الله والنفس البشرية فيبتون على غير اركان. ويثبتون بدون برهان. وان نقّرت في تواريخ الغابرين وتذكرت ما شاهدتهُ بعينيك او شاهده ابوك رايت ان ما من احد اطلق العنان للاهواء وحلّ قيود النفس فرغب في القبض على زمام السلطة ايّةً كانت الّا وقد تسربل بجلباب الدفاع عن الحرية وقال انهُ لها عبدٌ صادق السريرة مرادهُ توسيع نطاقها ونشر لوائها

فهذا لوتاروس « حرّر باصلاحهِ العقل البشري من رقّ البابويّة » — كما اطرقتنا بهِ نشرتهُ نشر الله عليها ستر رحمته — « واطلق ملايين من سجن العبوديّة الجهليّة » ولا يجهل اليوم الّا من اتبع سبل الجهل عمدًا ان غايتهُ لم تكن الّا القاء نير الصنّة عن علقهِ والسير وراء عهارته. وهناك اهل الفوضى واخوان الثورات في اواخر الجيل السالف وفي مدار جيلنا قد اجتمدوا ناشرين راية العصيان يهيجون المرؤسين على رؤسائهم ويزعزعون كلّ مبدأ ونظام ويطأون تحت الاقدام كلّ حلال وحرام ويهدرون غدرًا وظلماً دماء زكيّة وهم ينادون باسم الحرية. بهِ يتلبّسون ويتقزّلون وعلى نفاتهِ لارواح العباد يسفكون. فما احلى الاسم والذّهُ وما اسوأ ما أُطلق عليهِ. وان كانت هذه اثمار الحرية فقبّح الله شجرةً يُجنى منها كهذه الاشواك ووتانا من غوائلها

وموبقاتها. لكنّ والحمد لله بين الحرية وبين ما اراد بها قوم جهلة بعداً شاسعاً وبوناً واسعاً

فما الحرية وما حقيقتها وما المراد من اسمها ومسماها؟

ذلك سؤال اذا طرحتهُ على من انتمى الى ذراها من خطيب وكاتب تاجلجت الالسنة وجفّت الاقلام او بالحري اندفع الخطباء في الكلام يلقون على قس وسحبان ذيل النسيان ويجرى المداد على انامل الكتّاب فأترك بجمل رنّانة مبهرجة وتراكيب مزوّقة اعانتهم على اقتنائها كتب المرادفات فخيّل للسامع والقارئ انهم فازوا بالاعلاق وتسأطوا على دوائر الافلاك واكتشفوا عالماً جديداً خفي على ابائهم فكانوا اهلاً لان يطبّق صيتهم الآفاق

لكنك اذا عجمتَ عودهم وعصرت صفحاتهم لم تلقَ الّا قصباً بالياً او كنت كالقابض على المياه الجارية

سارت مشرقةً من بين اذرعهِ وعاد يضرب اخماساً لأسداس

ولا عجب مما يأتينا به متطفلو الانشاء والعلم فان الحرية كانت ولا تزال محكاً قدح الجهابذة على صلبه زناد قرائحهم ونَصَبَ صوّب العلماء على كبده سهام براهينهم كلٌّ تبعاً لمبادئه واهوائه

على ان البحث في هذا الموضوع بحثٌ دقيقٌ بل من اوعر المباحث لارتباطه بالحقائق الفلسفيّة واللاهوتيّة والاجتماعيّة فاذا جُزتَ غِمن سواء الطريق بغتةً او يسرة سقطت في الهوّة فكانت النتائج نظريّاً وعمليّاً وخيمة عليك وعلى اهل جلدتك

لذا رأيتُ ايها القارئ اللبيب ان انظر رأيك في الحريّة وحقيقتها واصحابها واعدائها وما أُطلق على اسمها مما دعاه معاصرونا « الحرّيات الحديثة » على اني سأتحامى ما استطعتُ الالفاظ الغريبة والمعاني المستغلقة لكني لا بدّ لي من ذكر بعض المبادئ المنطقيّة حفظاً لصدق البراهين وكمال الجدال فاسألك الامعان في مقالي والاقالة لما يفرط من القياسات التي قد يعسر فهمها لاول نظرة على من لم يعتد المباحثات الفلسفيّة وكل لبيب بالاشارة يفهم. فاذا ما نظرت فيها حصحص لك الحقّ وانكشفت الرغوة عن الصريح فكنتَ لطول أناتك شكوراً وصرتَ بحقيقة الحرية خبيراً

ومعاذ الله ان اركب الحيلاء وادّعي بالعصمة وقد رميتُ بسهم نقدي متين من الكتّاب لكني عوّلتُ على ان اتخذ لي اعلاماً وهُداة جلّ اهل المنطق واللاهوت كارسطاطاليس والملفان الملانكي توما الاكويني والمبرّز على اقرانه سوارس الشهير وامامنا الحبر الاعظم لاون الثالث عشر في رسائله الى العالم المتمدّن فاستنير بنورهم واقتفي آثارهم. اقول والله يصدق النية عليّ وعلى حفظ القلم عن كل شطط معين

٢ في الحرّيّة البشريّة

اذا سرّحنا الطرف فيما احاط بنا من الكائنات رأيناها مختلفة في الجنس والنوع متفاوتة في الصفات من جامد لا حياة لهُ ونبات حيّ لاحسّ لهُ وحيوان ذي حياة وحسّ لا نطق لهُ وانسان زانهُ الله بمحاسن الطبيعة جمعاء حتى سمّاه الحكماء العالم الاصغر ووهبه بمنزلة عن غيره نطقاً مدركاً بصيراً مفكّراً مميّزاً لهُ به السلطان على الجماد والنبات والحيوان والملك القاهر يستخدم تلك المواليد بنتهى فكره وبراعة تدبيره. ويقودها ذليلة في سبيل معيشته واسباب هنائه

وان سألنا او سُئلنا ايٌّ من المنظورات حائز على الحرّيّة يستطيع انشاء الفعل او عدمهُ واختيار هذا او ذاك عفواً؟ كان ولا شكّ جواب كل ذي عقل سليم ان الانسان وحدهُ هذه صفاتهُ وذلك لانهُ وحدهُ حيوان ناطق. فنعم الجواب

لكن قوماً انكروا هذا المقال وعزوا الحرّيّة الى غير الانسان فوجب علينا سماع براهينهم قبل الحكم عليهم

ولا أدري أنسب احدٌ من العقلاء الحرّيّة الى الجوامد والنباتات حتى ولو رأى زهرة الشمس تدور مقابلة لاشعّتها والنبت الذي يلقبه العامة «بالمستحية» ينقبض اذا مسّتهُ. فلا نرى اذن الى اثبات ما لم ينكر من فائدة

لكن البعض قالوا بحرّيّة الحيوان ولبناء مدّعاهم اعطوا الحيوان من كنوز عقلهم وذكائهم ما لا تامّ الصفات لا يختلف عن عقل الانسان الّا بالكم والكيف. ومنهم من ذهب الى ان عقل كثير من الحيوان اسمى درجةً وارفع منزلةً من عقل الانسان وبرهانهم على هذا ما نشاهده من نتاج هذا النوع تجمع في صيغها مؤونة شتاتها

وبراعة النحل في هندسة منازلها وصدق خدمة الكلاب والخيل لاسيادها وبناء الطيور لاوكارها واختلابس الفار والثعلب وزقهما عند غفلة الناظرين الى غيره من الامثال

قالوا: هذه ادلّة تشهد على عقل صاحبها. فان كان الحيوان ذا عقل فهو حرّ للارتباط بين كلا الصفتين كما سنبيّنه في مدار كلامنا

على ان هذا منقوض من ابواب جنّة. وذلك اذا ما تبصّرنا في صفات العقل البشري وصفات الحيوانات العجم في اعمالها. فالانسان بنطقه وقواه النفسانيّة يسمو على الحيوان بامور تخصّ بالذكر اربعةً منها ألا وهي طلبُ العلم والسير وراء الصلاح وابتداع الفنون العقليّة والصنائع الشريفة والتحلّي بحلية الدين والعبادة

١ (صفات العقل البشري) اولًا: يصبو الانسان الى معرفة حقائق الامور وكلياتها لا يكتفي بما تراءى له من ظواهرها كجرمها ولونها وصورتها ان لم يصل ما استطاع الى كنه ماهيّتها حتى اذا ما أتعب الجسم والفكر وتال مبتغاه وكشف القناع عن بعض الشرائع الطبيعيّة مثلًا او عن ارتباط البادئ الادبية والدينية بعضها ببعض سكر من نشوة خمرة عقليّة اللذّ طعماً واهنأ مشرباً من كل لذّة حسّية. لا يعرف سورة هذه اللذّة السامية الّا من ذاقها. قال ابن خلدون: « ان العلوم العقليّة كثيرة الفوائد بها يقف الانسان على تحقيق الحق في الكائنات ينتهي فكره ويقتنص المطالب المجهولة ويستخرج المباحث الشريفة » . وبهذه المعرفة يُكتسب العلم الذي حدّده اهل المنطق معرفة الحقائق عن اسبابها. وقال عنهُ الحكماء انهُ حياة القلوب ومصباح الابصار

ثانياً: ان الانسان يطلب السعادة لا يرغب عنها في اعماله ولا يشتهي ما يشتبه الّا وصلةً اليها ومهما كرع من مناهل اللذّة والكرامة الفانية لا يشفى منهُ الغليل تراه مضطرب الفؤاد كما قال القديس اوغسطينوس بين الخيرات الارضيّة يرنو بحشاشته وبجامع لبّه الى الخير التام الذي لا نُقص فيه ولا حَصر والى السعادة الكاملة التي لا يخالطها همّ ولا غمّ ولا يُخاف فقدانها. فاذا وصل الى غايته القصوى سكن في السلام والصلاح سعيداً

ثالثاً: والانسان مُشغَف بحبّ كل مليح وجميل يطرب لطيب القول والإنشاد والسماع ويعجب لما حسُن من المناظر الطبيعيّة فيشوقه بهاؤها ويهيج قلبهُ جمالُ تلألئها

ونظام سائها واذ ذاك يُعمل الفكرة في ابداع الفنون العقلية واختراع الصنائع الآنفة الى تحسين احواله . وقد اشتهر في هذه المبتدعات جيلنا هذا كما لا يجهل جاهل . على ان الانسان لا يزال صابياً يلتذُّ بالجميل المحصور ويتوق الى الجميل الحسن بالذات الذي لا عيب فيه ولا خلل — كما قال افلاطون في محاورته الملقَّبة بالمائدة — حتى اذا ما فاز به علق بحبّه مدى الابد

رابعاً واخيراً : ان الانسان دَين بالطبع يُجهد الفكرة في معرفة علّة العلل واصل الموجودات وهو الله تبارك وتعالى فيؤدي لخالقه فرض الاقرار بربوبيّته وواجب الطاعة والعبادة شكراً على الانه وطلباً لمعرفته . وتشبهاً بخالقه يتبع حسن الاداب ويزين نفسهُ ببرود الفضائل وجلباب الكمال

هذه بعض صفات العقل الانساني اللهمَّ ان لم ينقدْ لانواع الشهوات البهيمية ويلقي عن مفرقه تاج العقل فيصبح شبيهاً بها كما قال صاحب الزبور (٤٨ : ١٢) : « كان الانسان في كرامة فلم يفهم فماثل البهائم وتشبَّه بها » وقد ذكر قسماً من هذه الصفات الاربع الشيخ يحيى بن عدي في كتيبه عن تهذيب الاخلاق حيث قال : « هذه القوة الناطقة هي التي يتميز بها الانسان عن جميع الحيوان وهي التي يكون فيها الفكر والذكر والتمييز والعلم والتي بها شرُفَ وعظمت همّتهُ . بها يستحسن المحاسن ويستقبح القبائح . وبها يمكنه ان يهذب قوّتيه الباقيتين اعني الشهوانيّة والغضبية ويضبطها ويكفّهما . وبها يفتكر في عواقب الامور فيبادر الى استدراكها من اوائلها . . . اما فضائل هذه القوة فاكتساب العلوم والآداب وكفُّ صاحبها عن الرذائل والفواحش وقهر القوّتين الاخريين وتهذيبهما وسياستهُ في معاشه ومكاسبهُ وفي مروّته وجميله وحثُّهُ على فعل الخير والتودُّد والرقّة وسلامة النية والحلم والحياء والنسك والعفة » . الى ان قال : « والانسان اذا لم يستعمل الفكر والتمييز في جميع اعماله كان الغالب عليه اخلاق البهائم وذلك لانهُ انما يتميز عنها بالفكر والتمييز فاذا لم يستعملها كان مشاركاً لها في عاداتها والشهوات مستولية عليه . . »

(صفات الحيوان الاعجم) فاين النمل والنحل والفار والثعالب وغيرها من هذه السجايا ان بينها وبين الانسان لَوْناً بعيداً فهو يسمو الى المعالي وهي تدبُّ على الحضيض . هو يخترع ويبدع وهي تتبع خطّة واحدة منذ نشأتها لا تحيد عنها لا

... مع انه في مخيلتها من الصور الغريزية التي تمكنها من حفظ كونها . هو يفعل وهي تنفعل . هو يستحق على اعماله مدحاً او ذماً وهي لا ينسب اليها عاقل ثواباً او عقاباً . هو يصبو الى الحق والصلاح والفنون والدين وهي لا تنظر الا الى طعام يهيج غريزتها فتلحق به

وقد اجاب اللفان اللانكي في خلاصته اللاهوتية (الجزء الاول من القسم الثاني في الفصل الثاني من المبحث الثالث عشر) على قول الاخصام قال : « ان الحيوان الاعجم انما يؤثر شيئاً على آخر لان شهوته محدودة اليه طبعاً تحرك اليه حالاً دون انتخاب كما ان النار ايضاً تتحرك صُعُداً لا سفلى دون انتخاب »

وقد انكر علينا ما قدمناهُ دروين في كتابه عن اصل الانسان واوضح انتقادهُ احد اصحابه متياس دوفال (Mathias Duval) مدرس الطبيعيات البشرية (Anthropologie) في كتابه عن مذهب دروين (الصفحة ٦٩) بمثل كلب جدَّ في اثر وعل فبلغ الى مفرق ثلاث طرق استشى ريحهُ واذ وجد انهُ لم يذهب في الاولى والثانية استنتج باستعمال القياس العقلي ان الوعل سار في الطريق الثالثة فهرول في طلبه . واستنتج المعلم دوفال ان للكلب عقلاً

ولو لم اعرف حقَّ المعرفة ان هؤلاء العلماء يزدرون بالفلاسفة واللاهوتيين فلا يحطُّون بنظامهم الرفيع الى مطالعة كتب اهل الدين لقلتُ ان مدرس الطبيعيَّات قد نقل حرفاً بحرف المثكل الثالث من المبحث الثالث عشر من الخلاصة اللاهوتية للقديس توما الاكويني قال اللفان اللانكي : « من الحكمة ان يُحسن الانسان انتخاب ما الى الغاية كما قال ارسطو في الخلقيات (الجزء السادس الباب ١٢) والحيوانات تتصف بالحكمة . وهذا ظاهر للحس ايضاً فان بعض الحيوانات كالنحل والعناكب والكلاب يُشاهد في افعالها ضروب عجيبة من الحكمة فان الكلب اذا جدَّ الخ . . (المثل السابق) فيظهر اذن ان الحيوانات العُجم تتصف بالانتخاب » . وعليهِ اجاب « المعلم اللانكي » بما فيهِ كفاية لذوي الابصار قال :

ان الحركة هي فعل المتحرَّك صادراً عن المحرِّك كما قال ارسطاطاليس في كتابه عن الطبيعيات (٣ : ١٦) ومن ثم قوة المحرك تظهر في المتحرك وعلى هذا فكل ما يتحرك من العقل يُشاهد فيهِ ترتيب العقل المحرِّك وان لم يكن عاقلاً فان السهم

يتوجه توًّا نحو الغرض بتحريك الرامي كما لو كان لهُ عقل يدبره . ومثل ذلك يشاهد في حركات الساعات وسائر ما يستنبطه الانسان بصناعته . ونسبة جميع الطبيعيات الى الصناعة الالهيَّة كنسبة جميع الصناعيات الى الصناعة البشريَّة . ولذلك فما يتحرك بالطبع يُشاهد فيهِ ترتيب كما يشاهد ايضاً في ما يتحرَّك بالصناعة . وانما يُشاهد في افعال الحيوانات العُجم بعض ضروب من الحكمة من حيث تميل طبعاً الى بعض اساليب حسنة الترتيب لكونها مرتَّبة من الصناعة العليا وبهذا المعنى توصف بعض الحيوانات بالفطنة والحكمة لا كأن لها عقلاً وانتخاباً . وهذا ظاهر من حيث انَّ جميع الحيوانات المتحدة بالجنس تفعل ما تفعلهُ على وتيرة واحدة »

ففي هاتين الكلمتين « على وتيرة واحدة » او « نوع واحد » قد سبق إمام اللاهوتيين فدحض سالفاً زعم دروين في التقدم والنجاح الحيواني فاقرأ ان شئت كتب معاصرينا في طبائع الحيوان واعماله وقابل كلامهم بما ذكرهُ ارسطو وپلينيوس الطبيعيّ في تواريخهما يتراءى لك جليًّا ان الاجيال الطوال لم ترد الحيوان الاعجم معرفةً وعلماً بل وانظر في ما حفظتهُ لنا العاديات والرقوق المصريَّة التي عُمرت اربعة او خمسة آلاف سنة تجد ان اخلاق « النحل والعناكب والكلاب » هي هي في القرون الاولى كما نعرفها في ايامنا لم تتغير خطوةً عمَّا كانت ولم يبالغ في نموها الارث ولا اكتناز معارف السلف للخلف ولا افادتها شيئاً الظروف المفيدة للانسان وما ذاك الَّا لكونها مقيَّدة بالحسّ والغريزة على نمط واحد تبعاً لاحكامهِ عزَّ وجلَّ والانسان ذو عقل مميز وارادة متعددة ينظر في دواعي الامور وبواعثها ويتخب اختياراً ما كان فيهِ صلاحهُ وفلاحهُ

قلنا ان البعض — وهم اصحاب دروين — فضَّلوا عقل كثير من الحيوان على عقل الانسان واتونا بمثل بعض القبائل البعيدة عن الحضارة كالفويجينيين (Fuégiens) وادَّعوا ان ما لدى هؤلاء من الامور الدينية ليس الَّا احساساً يجزعون من جزَّانهِ لما لا يفقهونهُ وما هذا الجزع باسمى من جزع الحيوان لمرأى لم يكن في خلده

فهب ان زعمهم صادقٌ لكنَّ لنا مع ذلك في وجه الاخصام جواباً اخذناهُ عن زعيمهم نفسهِ فقد ذكر دروين في كتابهِ عن اصل الحيوان (الطبعة الافرنسيَّة الصفحة ٦٧) ان ثلاثة من هؤلاء الفويجينيين أُتي بهم الى البلاد الانكليزيَّة فلم

يمض عليهم سنون قليلة الا وقد تمكنوا من معرفة اللغة الانكليزية ولم يكونوا احطّ منزلةً عن غيرهم من الملّاحين الانكليزيين في عقلهم وادراكهم وتمييزهم (كذا المؤلف). فمتى تمكّن اصحابنا من تدريس اللغة الانكليزية للحيوانات (العاقلة على زعمهم) وجعلوها اهلًا لأن تضاهي الملّاحين الانكليزيين عقلًا وادراكاً وتمييزاً حقّ لهم ان يذكروا مذهبهم وعلينا ان نأخذ قولهم بعين الاعتبار

على انّنا اذا سلمنا بالقول ان الحيوان الاعجم ذو عقل كعقل الانسان وجب ان نستنتج بقياس لا مردّ عليه انهُ ذو نفس روحيّة في جوهرها وذاتها يخلقها الله في كل فرد من افراد الحيوان وهي سرمديّة الدوام لا يطرأ عليها الفناء غايتها الحق والصلاح غير المتناهي تبارك اسمهُ كما يؤمن كل ذي عقل ودين من القراء الافاضل في ماهية النفس وصفاتها وغايتها لا ينكرهُ الّا من ضربت على صفحات قلبه اطناب الجهل والكفران واذ لا يسلّمون بالنتيجة فقد اخطأوا المقدّمة فليس الحيوان بعاقل

وهنا يجدر بنا ان نلاحظ امرًا لا طائل تحتهُ في ذاته لكنهُ قد يُغشي على بصيرة قوم وهو ان بعض السذّج يحسبون ان ما يقول الاسد للثعلب والغزال للحمامة في امثال لقمان او ما ذكره بعض الجهلاء عن المحاورات بين سليمان والوحوش امرٌ حقّ واقعي فيشبّون ويشيبون ولا يرشدون فتراهم يمزون اللغات والكلام للحيوان وهو عنها قاصر ولم ينسب الكتّاب الكلام لمن لا عقل لهُ الّا تفكهة للاذهان وترويحاً للخواطر يجملون الامثال والاقوال المختلفة أحيولة لوعظة الناس ووسيلة لتقويض اركان الرذيلة وتعزيز اسباب الفضيلة. قال صاحب كليلة ودمنة:

« يجب على قارئ الامثال ان يلتمس جواهر معانيها ولا يظنّ ان نتيجتها انما هي الإخبار عن حيلة جيشين او محاورة سبع لثور. . . وانما القصد من وضعها على السنة البهائم غير الناطقة هو مسارعة. . الشبّان الى قراءتها فتمثال بما فوجم لان هذا هو الغرض بالنوادر من جبّل الحيوانات. . . فتكون الامثال رياضة لعقلهم اذ فيها يجدون ما يحتاج اليه من امر دينه ودنياه وآخرته وأولاه ويحضّه على حسن طاعته للملك ويجتنبهُ ما تكون عاقبته خيرًا لهُ »

ومثلهُ قال بعضهم:

فكم حيكم على افواه طير وآداب وامثال تقولهْ
يراها الجاهل المأفونُ هزلًا وحبكها لعالمها فضيلهْ

ومما يُضحك الثكلى حكاية لطيفة تاريخية نقصّها على قارئنا الاديب تزهة

لباله . وهي ان احد العلماء المحققين في ايامنا ذهب الى ان للحمام عقلاً ذكياً وكلاماً فصيحاً مفهوماً . وبرهاناً لقاله حبس نفسهُ مدة اسابيع متتابعة على مقربة من بروج الحمام يصيخ سمعاً لقولها ونغماتها عند خروجها ودخولها ويدونها على قرطاس تبعاً لقواعد الموسيقى وبعد الكدّ والجدّ توصل الى ثلاث او اربع نغمات من هذا التقويق تأوّلها بقولهِ انّ الحمام يشير بهِ الى الذهاب لجمع الطعام واظهار لذّتهِ بعد الحصول عليهِ . وقد اهدى العالَمُ المتمدّن نتائج بحثهِ شفهيًا بخواطر افكاره في عقل الطير ولغاته . أكرم بهِ من عالم ناقد وفيلسوف نطاسي قريع دهره في تأويل لغة الطيور ! !

وقبل ختام مقالي عن الحيوان لا بدَّ لي من ذكر جمعية خيرية شاعت وانتشرت في كثير من البلدان المتمدّنة وانضمّ اليها قوم كرام افاضل غايتها الدفاع عن حياة الحيوانات — وربما قالوا عن حقوقها (كذا) — وردْع ذوي القساوة والشراسة عن إمساكك قواها وتعذيبها بانواع العذاب . على ان غايةً كهذه لا تخلو من فائدتين احداهما حفظ الحيوانات المستأنفة لما في ذلك من النافع الجمّة في سبيل المعيشة والاخرى وهي لدينا شريفة نرغب الى الآباء والمعلمين ان ينظروا اليها باعين الاعتبار وهي ان المرء يبقى على ما نشأ في حداثة سنهِ فاذا اعتاد الولد منذ صغره على التلذُّذ بتعذيب غيره حيواناً كان او طفلاً ثبت في قلبهِ طباع سيئة وتمكنت فيهِ القساوة والفظاظة الوحشيّة فيجعل لذّتهُ في تعذيب رفقائهِ واخوانهِ ويشبُّ ويشيب وقلبهُ اصلب من الصخر الاصمّ لا يحنّ ولا يرفق

لذا نرى ان انتشار جمعيات كهذه حسن لكنّنا نشترط عليها شرطاً وهو ان تضرب عن ذكر « حقوق الحيوان » فحيث لا قوى عقليّة ولا ارادة حرّة فهناك لا حقوق ان لم نُرد اخراج الالفاظ عن حقيقة معانيها . فالرفق بالحيوان يعود علينا بالثروة ويردعنا عن اتباع المساوئ ليس الّا فهو فرض علينا نحو انفسنا لا نحو البهائم . قال داود النبي في المزمور الثامن : « ما الانسان حتى تذكرهُ وابن البشر حتى تفتقدهُ نقصتهُ عن الملائكة قليلاً وكللتهُ بالمجد والكرامة سلطتهُ على اعمال يديك واخضعت كل شيء تحت قدميهِ الغنم والبقر كلها وبهائم الصحراء ايضاً وطير السماء وسمك البحر السائر في سبل البحار . ايها الرب سيدنا ما اعظم اسمك في كل الارض »

والنتيجة ان الحيوان الاعجم ليس بعاقل فهو اذن ليس بحرّ (له بقيّة)